

دور صندوق الزكاة

في محاربة الفقر وتنمية المجتمع

ك.أ. محمد زغلاني (*)

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي
الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]
فجعل "العاملين عليها" وهم جباة
الزكاة من بين مصارفها، دليل على أنه
منصب قار في الدولة الإسلامية، لا يزول
ب وفاة النبي ﷺ.

في السنة النبوية الشريفة:

- تعيينه ﷺ جباة بعث بهم لمختلف
الأمصار لجمع الزكاة.

- قوله ﷺ وهو يوصي معاذ بن جبل
حين أرسله إلى اليمن: ((أَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ
افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ

يُعتبر قيام هيئة رسمية تتولى
تحصيل الزكاة وتوزيعها
على مستحقيها فريضة من فرائض الشرع
وضرورة من ضرورات الواقع، وإذا أردنا
سندا لذلك فإننا نجد فيما يلي:

في القرآن الكريم:

- قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تَطْهَرُ بِهِمْ وَتُرْكِيهِمْ بِمَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَاتَكَ سَكَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103].

فقد جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بصفته
حاكما للمسلمين، وهو خطاب لكل من
تولى أمر المسلمين من بعده، وهذا ما فهمه
الصديق أبو بكر، فقد حارب مانعي
الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ وعندهم من
المرتدين.

(*) رئيس فرع المركز الثقافي الإسلامي، قسنطينة.

من أغنيائهم وترد على فقرائهم))
[أخرجه الجماعة].

من فتاوى الصحابة :

- عن سهل بن أبي صالح عن أبيه قال:
(اجتمع عندي نفقة فيها صدقة - يعني
بلغت نصاب الزكاة - فسألت سعد بن
أبي وقاص وابن عمر وأبا هريرة وأبا
سعيد الخدري أن أقسمها أو أدفعها إلى
السلطان؟ فأمروني جميعاً أن أدفعها إلى
السلطان، ما اختلف علي منهم أحد).

- و في رواية: (فقلت لهم: هذا
السلطان يفعل ما ترون "كان هذا في
عهد بني أمية" فأدفع إليهم زكاتي؟ فقالوا
كلهم: نعم فادفعها).

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:
(ادفعوا صدقاتكم إلى من ولاه الله
أمركم، فمن بر فلنفسه ومن أثم فعليها).

- وعن المغيرة بن شعبة أنه قال لمولى له
- وهو على أمواله بالطائف -: (كيف
تصنع في صدقة مالي؟ قال: منها ما
أتصدق به ومنها ما أدفعه للسلطان.
قال: وفيه أنت من ذلك؟ - أنكر عليه
أن يفرقها بنفسه -)

فهذه الأدلة كلها تجعل الزكاة أمراً
إلهياً، يكلف الحاكم بالإشراف على
تنفيذه، وقد جسد في بلدنا بما يعرف
بـ "صندوق الزكاة".

وفي الواقع أدلة أخرى :

- فإن كثيراً من الناس قد تموت
ضمائهم أو يصيبها السقم والهزال فلا
ضمان لحق الفقير إذا ترك لمثل هؤلاء.

- في أخذ الفقير حقه من الدولة لا من
الشخص الغني حفظ لكرامته، وصيانة لماء
وجهه أن يراق بالسؤال، ورعاية لمشاعره
أن يجرحها المن والأذى.

- إن ترك هذا الأمر للأفراد يجعل
التوزيع فوضى فقد ينتبه أكثر من غني
لإعطاء فقير واحد، على حين يغفل عن
آخرين، وربما كانوا أشد منه فقراً.

دور "صندوق الزكاة" في محاربة الفقر
وتنمية المجتمع:

الفقر آفة اجتماعية تخلف آثاراً وخيمة
على البنية الاجتماعية، ويتجسد ذلك في
مظاهر الانحراف والأمراض والآفات
الاجتماعية من سرقة ومخدرات - هروباً
من الواقع المرير الذي يعيشه الفقير -
وهذا يؤدي إلى عدم الاستقرار وفقدان

الأمن وينعكس سلباً على التنمية الاجتماعية.

ومن ثم كانت الزكاة إحدى الركائز المهمة في محاربة آفة الفقر والتسول، ودعم التنمية الاجتماعية، ضمن منظومة اقتصادية متكاملة، تبدأ بالحث على العمل ونبذ "العجز والكسل" وتنتهي بإعانة المدين دفعا "لغلبة الدين وقهر الرجال".

ولا يمكن للزكاة أن تقوم بهذا الدور المهم إذا كانت مجرد دريهمات تعطى متناثرة بين الفقراء، يفوز بها بعضهم ويغفل عن الكثير منهم، وربما ضفر بها محترفو التسول وحرّم منها «الذين لا يسألون الناس إلحافاً، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف».

ويزيد من وضوح دور الزكاة في محاربة الفقر والتنمية الاجتماعية أن "الفهم الصحيح للزكاة ليس هو مجرد سد جوع الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات، وإنما وظيفتها الصحيحة تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره، ولو كان هذا الغير هو الدولة فمن كان من أهل الاحتراف أو الاتجار أعطى من

صندوق الزكاة ما يمكنه من مزاولة مهنته أو تجارته، بحيث يعود عليه من وراء ذلك دخل يكفيه بل يتم كفايته وكفاية أسرته بانتظام".

لذا فإن "صندوق الزكاة" من خلال الهيكل التنظيمي الممتد من أعلى القمة التي تمثلها الهيئة المركزية لصندوق الزكاة والمكونة من مختلف المتدخلين في الشأن الاقتصادي والاجتماعي، وما يمثلته هؤلاء من بعد رسمي وشعبي، إلى أدنى الهرم المكون من مختلف شرائح المجتمع المدني، يستظل بهيئة ولائية يمتزج فيها الرسمي بالشعبي وتمثل صمام الأمان في الرقابة على العدالة والفاعلية في عملية توزيع الزكاة على مستحقيها الفعليين، والعمل على إغناء ذوي الكفاءات والمؤهلات منهم بإعطائهم فرصة الاستثمار من مال الزكاة، فينتقلون من خانة المتصدق عليهم إلى خانة المتصدقين، فتتقلص الخانة الأولى بمرور السنوات وتتسع الخانة الثانية.

وقد تجسدت محاربة الفقر بواسطة "صندوق الزكاة" في أنه وكل للهيئات القاعدية النابعة من المجتمع والقرية منه، والمعاشية لآلامه، وكل لها مهمة تحديد قائمة المستفيدين من الزكاة، وإيصالها لهم

في شكل حوارات، نحفظ كرامتهم وتعفيهم من مذلة السؤال، يعد هذا جزءا مهما من التنمية الاجتماعية يكمله الجزء الثاني المتعلق باختيار ثلة من الشباب أصحاب المؤهلات والكفاءات ومن المستحقين للزكاة يختارون بمقاييس موضوعية، يمنح لهم من مال الزكاة ما يمكنهم من إقامة مشاريع استثمارية تنقلهم من دائرة مستحقي الزكاة إلى دائرة المزكين.

غير أن ما يجب أن نلاحظه في النهاية، هو أنه من غير المتوقع ولا المنتظر أن تظهر النتائج الفعلية لصندوق الزكاة في السنة أو

السنوات الأولى، إنما هي عملية ذات أمد بعيد يتوقف نجاحها على مدى إيمان القائمين عليها بجداها من ناحية وبالأجر الذي يرجع عليهم من ناحية أخرى، إذ يعملون على إحياء سنة اندثرت، ويؤسسون لثقافة مجتمع كرس الاستعمار كل جهوده من أجل أن يسلخه من أقوى مقوماته ألا وهو الدين، الذي تمثل الزكاة أحد أركانه، كما يتوقف نجاحها على تفاعل المجتمع بكل شرائحه مع هذا المشروع الذي يمثل إقامة شعيرة من شعائر الدين لا يكتمل إيمانهم إلا بإقامتها.

